الخاتمة

إن الحوار بين المسيحيّين والمسلمين يمكن ويجب أن يَنظر اليه المؤمنون، رجالاً ونساء، كواحد من الأبعاد الأساسيّة في حياتهم اليوميّة، وفي بلدانهم المتنوّعة، حيث يذوقون ما في الحياة والشغل والحبّ والألم والموت من سرّاء وضرّاء. لا ريب أن العديد من المسيحيّين قد يؤثرون الإنخلاد الى سكينة اللامبالاة، تاركين كل واحد يعيش مع عاداته الموروثة وأفكاره المخطئة وصدق نيّته المخلصة. ولكن التاريخ قد برهن على أن هذا النمط من السلوك يُبقي كل إنسان على جهله للآخر، ويعزّز بمقدار ذلك ضروبًا من سوء التفاهم والمحاذرة والتنازع. وبعض المسيحيّين يُبدون اليوم اهتمامًا خاصًّا، بل مميّزًا، بالإسلام وإنجازاته التاريخيّة، وإن أدّى ذلك الى التغاضي عن أبعاده الدينيّة، وهي التي وحدها تمكّن مَن يرتبط بها من التقرّب من الله والشهادة له. وفي سياق هذه المسيرة الروحيّة الاستطلاعيّة ننظر هنا الى الحوار من الناحية المسيحيّة على الخصوص. أجل، لا أحد ينفي أن الإسلام ينهج سبيلين في آن واحد: سبيل بناء حضارة، وسبيل اختبار دينيّ. ولقد راعينا السبيل الأول عندما قمنا بهذه المحاولة لتقدير حَظّ الحوار اليوم، وحدوده بالنسبة الى السبيل الثاني، اي «الحوار الديني» بين المسيحيّين والمسلمين.

ولقد صارت لهذا الحوار الآن أبعاد تشمل جميع القارّات، بعد أن ترعرع على الخصوص في الشرق الأوسط وحول حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك واقع جديد يزيد من حظه في النجاح، لأن المسيحيّين والمسلمين المدعوّين إلى الحوار يشاركون اليوم في أوضاع وطنيّة وإيديولوجيّة شديدة الاختلاف، وقرائن سياسيّة

واقتصاديّة كثيرة التنوّع. وهم ليسوا فيها أبدًا وحدهم، يواجه بعضهم البعض، بل غالبًا ما يواجهون، وأحيانًا مع إخوانهم اليهود، البحث الدينيّ العظيم الذي يقوم به المؤمنون غير الموحِّدين، كما هي الحال غالبًا في آسيا. وعلاوة على ذلك ان عالم التقنيّة المتزايدة والتقدّم الحضاريّ الحديث يرغمان الجميع على التجدّد حتى في التعبير عن إيمانهم، وبالتالي عن حوارهم نفسه. ولأن هذا الحوار هو إنسانيّ ودينيّ معًا، فهو يمتدّ أيضاً الى العديد من الأوضاع والأوقات، وله الكثير من الطرائق والسبل. وينجم عن ذلك أن المؤمنين في كلّ من الديانتين، يمكنهم أن يترجّوا إنماء حوار حقيقيّ فيهما، يكون قبولاً للآخر، وتفهّمًا لإيمانه، وبالتالي مشاركة في الاختبارات الروحيّة، وجرأة عند الفريقين على المخاطرة في الروح. وهذا الحوار الذي يمرّ بالرجوع الى الله والى ما يقتضيه في سبيل تطهيرنا، ينتهي طبعًا إلى سرّ الأشخاص وجوابهم الحرّ للربّ الذي يدعوهم. فلا يمكن الحوار أن يكون غاية في ذاته، لأنه في خدمة الله للتقريب بين المؤمنين على أفضل وجه.

ومشروع كهذا يقتضي كلَّ محاور أن يعترف بقيم الآخر. وذلك يفترض بطبيعة الحال أن يتغلّب المسيحيّون والمسلمون على ضروب الجهل الماضي، وينسوا المظالم القديمة، فيجدّدوا معرفتهم وتقديرهم للآخرين. ولن يتمكّن المسيحيّون من محاولة تقويم الإسلام تقويمًا إنجيليًّا ولاهوتيًّا، على وجه نزيه وإيجابيّ، إلا بعد هذا التجدّد في معرفة المسلمين وتقديرهم، أوَليس الإسلام هو تلك الديانة التوحيديّة التي لها طابع نبويّ، وعلاقات لا تزال غامضة بالتراث الدينيّ اليهوديّ المسيحيّ، والتي فيها يُرفع شأن الأُسوة الإبراهيمية في الايمان والخضوع لله حتى أقصى مضامينها؟

ولكن لا بدّ للواقعيّة في الايمان من أن تحمل، المسيحيّين والمسلمين على أن يراعوا العوائق الباقية مراعاة دقيقة: لا جرم أن أربعة عشر قرنًا من التاريخ المشترك، تغلّبت فيها المجادلات والنزاعات مرارًا كثيرة على التفاهم والتعاون، قد خلّفت في ضمير الجماعات المتصادمة من مواقف الرفض، ورواسب الأفكار المخطئة، ما لن يزول إلا بسعي مستمرّ، للتحرّر منه بمعرفة أفضل ومحبّة أكبر. أمّا المسيحيّون فعليهم أن يُقلعوا عن الاتّهامات السهلة الباطلة التي يرشق بها الجُهّالُ الإسلام. وستعود عليهم